

«وقف الصَّوَامِ»

وقف النخيل لتفطير الصائمين من أفضل الصدقات

كانت توقف الأراضي للزراعة والسكنى بثمن معلوم وفي صنفين إما النقود التي تصرف في مصارف الوقف، أو الثمار كالقمح والشعير أو التمر؛ فيقال في هذه الأرض الموقوفة صاعان من القمح أو البر تخرج في أعمال البر وهكذا.

وقف الصَّوَامِ

على الرغم من أن وقف الصَّوَامِ قديماً كان قليلاً، حيث لا يتعدى الصاع أو الصاعين من القمح أو الوزنة أو الوزنتين من التمر، إلا أن ذلك نافع ومجد؛ فإذا اجتمع ما خصص من التمر لهؤلاء الصَّوَامِ فإنه كاف وبفيض، فكل يجمع ما لديه من طعام لهؤلاء الصَّوَامِ ومن ثم يقدم لهم في مسجد القرية فيجدوا ما يسدون به جوعهم.

وقد يخصص الواقف بعضاً من وقفه على مؤذن الجامع وإمامه، حيث أن المؤذن والإمام سابقاً لم يكن لهما مكافأة كما هو عليه الآن، وإنما يعتمدان في أجورهما على ما تركه الواقفون على هذه المساجد من طعام؛ فيكون لمؤذن المسجد كميلاً معلوماً من الطعام كالبر والعيش والتمر وكذلك الإمام.

توثيق الوقف

عندما يريد شخص ما أن يوقف أو يصبر شيئاً ل(الصَّوَامِ) مثلاً أو أي وجه من وجوه الخير؛ فإنه يحرص على توثيقه، وذلك بأن يذهب إلى أحد المشهورين والحاذقين بالكتابة؛ ممن لهم باع طويل وخبرة في كتابة الوقوف من أهل الصلاح والتقوى، بحيث يشهد بما يكتب ويحضر الكتابة أحد الشهود ممن يشهد لهم بالصلاح ويؤرخ الكتاب ويختتم

ظل العمل الخيري ممتداً طوال قرون عديدة لا ينقطع عن سكان هذه البلاد، ومن أهم وجوه ذلك (الوقف)، حيث يوقف أحدهم منفعة بتحبيس أصلها وديمومة نفعها للغير؛ كمن يوقف نخلات لينفق من ثمرها على الأراامل والمساكين مثلاً أو على (الصَّوَامِ) أو بشراء دهن أو (ودك) لسراج الجامع، أو أكفان للموتى وغيرها الكثير من أوجه البر المختلفة.

وبما أن أهل الخير يفتنمون مواسم الخير؛ فقد كان شهر رمضان المبارك بمثابة ميدان سباق لهم، فالكل يتنافس في فعل الخير على الرغم من شظف العيش ومحدودية الدخل في ذلك الوقت، حيث أن جل طلب الرزق منحصر في الزراعة بمعناها البسيط التي تؤمن لقمة العيش لممتنها، كما أن أهم الأعمال الخيرية تكاد تنحصر أيضاً في إطعام الطعام.

ومن أهم الأطعمة المقدمة (التمر) وذلك لسببين، الأول لنجاح زراعة النخيل بكثرة حيث المناخ المناسب لها، أما السبب الثاني فهو كون (التمر) من الأنواع التي يمكن ادخارها لمدة عام دون أن تفسد كباقي المحاصيل، فالتمر إذاً يأتي في مقدمة ما يقدم للإطعام، حيث كانت النخلة رفيق درب المزارع وفاتحة الخير عليه، فلا عجب إذا ما رأينا ارتباط المزارع واهتمامه بها.. فكل ما ازداد إكرامه واعتناؤه بها كلما قدمت له الكثير من ثمرها الحلو والطيب.. ولهذا جاءت أغلب الوصايا والوقفات في التمر الذي كان يكال ب(الوزنة)؛ فيقال مثلاً أوقف فلان من نخيله ثلاث نخلات يكون ثمرها لابن السبيل أو الصائمين وغيرهم، كما

و«البدوي».. وفي منتصف القرن العاشر ٥ شعبان ٩٤٠هـ وقف «صقر بن قطامي» على منوال وقف «صبيح»، وفي آخر القرن العاشر في ١٩ رمضان ٩٨٦هـ وقف «رميثة بن قضيب» أيضاً على منوال وقف «صبيح»، ثم توالى الأوقاف بعد ذلك، منها ما هو مخصص بأكمله للصوم، ومنها ما يشمل على جزء للصوم.

ولا يزال مسجد الشمال بأشيقر يفض بالمصلين وتناول الإفطار فيه من تمر الصوم، كما يقول الأستاذ «عبدالله البسيمي»، وهو يعدد نماذج من صور الوقف في أشيقر ما نصه: (كما أوقفت هيلة بنت حمد بن منيف: وزنة (ودك) لسراج الفيقلية في رمضان وقربة تروي المصلين في مسجد الفيقلية برمضان والقربة من جلود الضحايا التي أوصت بها، ووقف حمد بن عبدالوهاب: سراج في شهر رمضان يعلق بعد صلاة المغرب إلى طلوع الناس من صلاة العتمة يعلق بين دار ابن جوهر ودار آل فهد في سوق الصعيد، أما في العشر الأواخر من رمضان فيعلق زيادة على ذلك يعلق في الموضع المذكور إذا قام الناس لصلاة القيام إلى صلاة الفجر، وأوصت نورة بنت عبدالرحمن الرزياء بريال كل سنة يشتري به قاز ويشب به سراج في سريويل على عادته يجعل عند باب محمد بن إبراهيم بن حسين في رمضان في العشرين الأولى يشب أول الليل وآخره والعشر الأواخر يشب من المغرب إلى آخر الليل كله).

وأما الأستاذ سعود بن عبد الرحمن اليوسف فقد ألف كتاباً ضخماً بعنوان: «من آثار علماء أشيقر»، وذكر العديد من النماذج لهذا المشهد الثقافي والحضاري لدى هذه البلدة في هذا المجال ومنها على سبيل المثال وثائق في رصد الأموال التي تعد لأوقاف (الصوم)، وتسليمها لأمير البلدة آنذاك، وفي هذا الكتاب عشرات النماذج من الأوقاف التي خصص ريعها للصوم.

بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تختم الوثيقة بختم الكاتب إن كان له ختم، وكمثال على ذلك نورد وثيقة لها أكثر من مائة وعشرة أعوام قال فيها الواقف من أهالي أثيثية ما يلي: «أقر محمد بن عمر بأنه وقف مراكزه في الحيشتين اللواتي تحت دخينية الصوم وهي التي على ساقى الجرعى والجرف في البطيحي وقف مراكزه على الصوم وذلك في صحة منه واعتدال وتمام عقل بلا زوال شهد على ذلك علي بن عبدالله بن عبدالعزيز وشهد به وكتبه سليمان بن صالح بن سويدان، التاريخ ١٣٢٥هـ».

من أشهر وأقدم الأوقاف

من أشهر هذه الأوقاف وأقدمها وقف «صبيح» المشهور في مدينة أشيقر، يقول الشيخ عبد الرحمن بن منصور أبا حسين -رحمه الله- في مقال له نشر في إحدى الصحف بأن (أشيقر) من البلدان (النجدية) التي تزخر بوثائق الأوقاف بنوعيتها، فالأوقاف على الصوم كثيرة جداً وهي الأشهر في أوقاف البلدة، ولذا دُونت في سجل خاص بها، ويتولى الإشراف عليها وكلاء على مرّ السنين إلى يومنا هذا، كما توجد أوقاف على الضيف يجمعها أمير البلدة كل عام، وقد دونت في سجل خاص بها شاملة كل بساتين البلدة صغيرها وكبيرها دون استثناء، كما يوجد أوقاف على الفقراء والمساكين والأضاحي والحجج وكذلك على الذرية، والسرج في المساجد والطرق والدلاء على الآبار التي تستقي منها البيوت، ومن الأمثلة على ذلك من واقع الوثائق أوقاف «صبيح»، وصقر بن قطامي ورميثة بن قضيب على الصوم.

ووقف «صبيح» في منتصف القرن الثامن الهجري حيث كتب عام ٧٤٧هـ وجعل جزءاً من غلة الوقف يكون سماطاً من التمر في شهر رمضان عند الإفطار من كل عام يأكله الغني والفقير والحضري

